لبيك اللهم لبيك
للشيخ خالد الراشد

1. قصة البيت الحرام وسبب إنشائه
البيت الحرام في مكة هو أول بيت وُضع للناس لعبادة الله، وهو محل طواف وعبادة منذ آدم عليه السلام.
الله أمر إبراهيم عليه السلام ببناء البيت على أساس التوحيد الخالص:
"وطهّر بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود".
إبراهيم عليه السلام ترك هاجر وابنه إسماعيل في وادٍ خالٍ من الزرع والماء، توكلاً على الله، وتركهما الله محفوظين.
هاجر طلبت الماء فأرسل الله زمزم، ومن هنا بدأ السعي بين الصفا والمروة.

2. البناء والإذان بالحج
إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بنيا البيت الحرام بأمر الله.
بعد البناء، أمر الله إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج:
"كتب عليكم الحج فإن ربكم قد اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه".
المسلمون استجابوا، ومن هنا ظهر شعار "لبيك اللهم لبيك"، تعبيرًا عن التوحيد والخضوع لله.

3. معنى التلبية: لبيك اللهم لبيك
لبيك: أنا حاضر، مجيب لأمر الله، مخلص في طاعته.
لا شريك لك: تأكيد التوحيد، لا شريك لله في ملكه وربوبيته وأسمائه وصفاته.
الحمد والنعمة والملك لك: شكر لله على نعمته واعتراف بسيادته.
التلبية هي تجسيد للتوحيد في القلب واللسان والعمل، وفي الحج كاملًا، كل موقف يعبر عن هذا التوحيد.

4. أخبار من سعوا وقدموا للوصول إلى البيت الحرام
قصص الأنبياء: إبراهيم، إسماعيل، وهاجر.
قصص الصحابة: الحجيج الأولون الذين بذلوا الغال والنفيس للوصول إلى مكة.
قصص الحجاج المتأخرين: مثل الحاج عثمان الذي سار عبر قارة إفريقيا خمس سنوات حتى بلغ البيت الحرام، وجعله مثالًا على الصبر والشوق والإخلاص.

5. معاني الحج والوقوف بعرفة والطواف والسعي
الحج أعلى مظاهر التوحيد، إذ:
الطواف: إعلان الولاء لله.
الوقوف بعرفة: يوم الغفران والرحمة، إعلان التسليم لله.
السعي بين الصفا والمروة: اتباع سنّة هاجر، توكّل على الله.
رمي الجمار: إعلان الانتصار على الشيطان والهوى.
كل هذه الشعائر تجمع المسلم على قلب واحد، ويظهر في كل موقف التوحيد والرجاء والافتقار لله.

6. أهداف الاجتماع السنوي للحج
تجديد الولاء لله: الإعلان عن التوحيد في كل موقف.
تحقيق وحدة المسلمين: لباس واحد، نداء واحد، مواقف مشتركة.
الذكر والدعاء والتوبة: المغفرة والعتق من النار.
اقتداء بالنبي وأصحابه: تطبيق سنة محمد صلى الله عليه وسلم.
التربية الروحية: صبر، توكل، إخلاص، تقوى.

7. الدروس المستفادة
التوحيد الخالص: كل عمل في الحج لله وحده، بدون رياء أو شريك.
الصبر والمثابرة: كما فعل الحجاج الأوائل، والإيمان بقدر الله.
التضحية للوصول للحق: الهجرة، السفر الطويل، والابتلاءات.
الذكر والدعاء: مكانة يوم عرفة وبيت الله الحرام في تقوية الروح والارتباط بالله.
الوحدة بين المسلمين: الحج رمز لمساواة البشر، بغضّ النظر عن العرق أو اللون أو المكانة الاجتماعية.

النص الكامل للمحاضرة

لبيك اللهم لبيك

لفضيلة الشيخ خالد الراشد ما قصة هذا البيت الذي تتوجه له القلوب والأبدان في كل لحظة من اللحظات ولماذا أنشئ وعلى أي أساس قام وما هي أخبار من سعوا وقام وصلوا وقام وما هو الهدف من اجتماعهم في كل عام في أيام معدومات سيانا وإياك نطوف ونسعى مع هذه الأخبار إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق ثقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار سبحان من جعل بيته الحرام مثابةً للناس وأمنه يترددون إليه ويرجعون عنه ولا يرون أنهم قضوا منه وقرى لما أضاف الله تعالى ذلك البيت إلى نفسه ونسبه إليه بقوله عز وجل لخليله وطهّر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود فتعلَّقت قلوب المحبّين ببيت محبوبهم فكلما ذُكر لهم ذلك البيت الحرام حنُّوا وكلما تذكَّروا بعدهم عنه أنُّوا قال الله إن أول بيت وُضِع للناس للذي ببكَّة مباركًا وهُدًى للعالمين فيه آياتٌ بيّناتٌ مقامُ إبراهيم ومن دخلَه كان آمِنًا ولله على الناس حُجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين بيتٌ بنته يدُ التقوى وشيَّده أبو النبيين للأجيال يرفعه أمجادُه في كتاب الدهر حافلةٌ ثوبُ الجلال عليه الربُّ يخلعه تدرَّعَت بسياج الدين حُرمتُه والله من عبث الباغين يمنعه أولاهُ بالحج تشريفًا وتكرُمةً حتى غدَت موئلَ التقديس أربعُه وكعبةُ الروحي بالتوحيد شاهدةٌ كالشمس تصطع نورًا وهي منبعُه بيتٌ خُلِق من الحجر وأُضيفَ إلى الله فأصبحَ محطَّ أفئِدة البشر بيتٌ من زارَه نسيَ مزارَه وهجرَ ديارَه بيتٌ من صبرَ عنه فقلبُه أقسى من الحجارة حجَّ قومٌ من العُبَّات فيهم عابِدَه فجعلَت تقول أين بيتُ ربي أين بيتُ ربي فيصبرونها قائلين الآن ترينه فلما لاحَ البيت قالوا هذا بيتُ ربُّك فأسرَعَت مهرولةً إلى البيت وهي تقول بيتُ ربي بيتُ ربي حتى وضعَت جبهَتَها على البيت باكيةً فما رفِعت إلا وهي ميتة قتلَها شوقُها إلى بيت ربّها الطائفون الراكِعون لربّهم خفِقت قلوبُهم وضجَّ لسانُه تتزاحَم الأقدام في ساحاته وترقُّ بين ظلاله الأبدان كيف لا يحبونه وهو بيتُ ربّهم وقد أخبرَ الله أن فيه آيات فيه الحجر الأسود وما أدرَى كما الحجر إنه من الجنة لا إله إلا الله في الأرض شيءٌ من الجنة ثم لا نشتاقُ إليه لا إله إلا الله في الأرض شيءٌ من الجنة ثم لا ندرِفُ الدموعَ عنده وحواليه قال صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود من الجنة وقال أيضًا بأبيه وأمي إن مسحَ الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطا حديثٌ صحيح وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلًا فالتفتُ فإذا عمر يبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر ها هنا تُسكَبُ العبارات قلت أنا هنيئًا للحجر هنيئًا للحجر تلك القبولات من أطهر ثمن وأغلى بشر قال صلى الله عليه وسلم والله ليبعثنَّه الله يوم القيامة والله ليبعثنَّه الله يوم القيامة يعني الحجر له عينان يبصر بهما ولسانٌ ينطق به يشهد على من استقبله بحق حديثٌ صحيح فيا الله كم سُكِبَت عند الحجر من عبارات وكم رُفِعَت عنده ومن حوله من طلباتٍ ودعوات وكم سُمِعَت هناك من آهاتٍ وزفرات يقول الأصمعي خرجت حاجًا إلى بيت الله الحرام وقاصدًا مسجد رسوله للزيارة فبين أنا أطوف في ليلة مقمرة إذا بشحابٍ حسن المظهر طيب الشمائل يظهر على وجهه أثر الخير متعلق بأسان الكعبة يبكي ويقول إلهي وسيدي ومولاي غارت النجوم ونامت العيون وعينك لا تنام يا حي يا قيوم إن الملوك قد أغلقت أبوابها وقام عليها حراسها وحجابها وبابك مفتوح للسائلين جئت أسأل عفوك يا كريم جئت أسأل صفحك يا رحيم قال فلا زال يرددها حتى خر مغشيا عليه فنظرت في وجهه فإذا هو زين العابدين ابن الحسين ابن علي رضي الله عنهم أجمعين فبكيت لبكاءه فخرت دمعة من عيني على وجهه فأفاق وقال من هذا الذي شغلني عن ذكر مولاي قلت أنا الأصمعي فلماذا هذا الخوف والبكاء والجزع يا ابن بنت رسول الله أليس الله يقول فيكم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال هيهات هيهات يا أصمعي إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا قال فتركته على حاله ومضيت إنها آيات وآثار تدفش القلوب قبل العقول حواها بيت ربي ولولا أن يطول الحديث لذكرت لكم أخبار الركن اليماني ومقام إبراهيم والملتزم والمستجاب والحظيم والحجر وتحت الميزاب وزمزم وركضة جبريل وغير ذلك من الآيات لكن حسبنا ما سمعنا هجرت الخلق طرًا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا فلو قطعتني في الحب إرابا لما حن الفؤاد إلى سواكا ما قصة هذا البيت الذي تتوجه له القلوب والأبدان في كل لحظة من اللحظات ولماذا أنشئ وعلى أي أساس قاموا وما هي أخبار من سعوا وطافوا وصلوا وقاموا وما هو الهدف من اجتماعهم في كل عام في أيام المعلومات هيا أنا وإياكم نطوف ونسعى مع هذه الأخبار بيت في الصحراء نعم بين الجبال المغفرة في وسط الصحراء القاحلة وتحت لهيب الشمس الحارقة كان ذلك البيت بدأت الحكاية لما أهبط آدم من الجنة روى الطبراني في الكبير موقوفا ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما أهبط الله آدم من الجنة قال إني مهبط معك بيتا أو منزلا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى حول عرشي فلما كان زمان الطوفان رفع وكان الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه فبوأ الله لإبراهيم مكانه فبنى وهذا معنى قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت قال ابن كثير أي أرشدناه إليه وسلمناه له وأذننا له ببنائه فكيف انطلق إبراهيم إلى ذلك المكان انطلق رعاك الله وبارك فيك بأمر وامتحان وابتلاء من الله حرم إبراهيم الولد ثم رزق به وهو كبير في السن ثم امتحنه الله وابتلاه في أعز ما أعطاه ما أشده من موقف على الشيخ الكبير إبراهيم عليه السلام وهو يأخذ زوجه هاجر وولده الرضيع الصغير إسماعيل إلى ذلك المكان الذي اختاره الله كيف كان قلب إبراهيم عليه السلام وهو يودع الطفل وأمه وهما تحت له بالشمس الحارقة وهو على ثقة ويقين وتوكل على الله لم تكن الأم تعلم أنها ستترك في ذلك المكان الخالي من الزرع والماء بل لا أثر فيه للحياة تنادي الأب والزوج قائلة كيف ستتركنا في هذا المكان ولمن تتركنا فلا يجيبها وقلبه يتقطع ألما من شدة الفراق ولوعته تكررها جرى الرجاء والنداء فلا يجيبها فليس عنده جواب ثم تقول له في الثالثة الله أمرك بهذا الله أمرك أن تتركنا في هذا المكان فيجيب الأب الحنون والزوج المشفق عليه السلام أن نعم إنه أمر من الله فلما علمت أنه أمر من الله سلمت وأدعنت وقالت إذن لا يضيعني إذن لا يضيعني حفظت الله فحفظها أطاعت الله فأثابها وثقت بالله فما خاب فيه رجاؤها توكلت على الله فكان حسبها ثم ينطلق إبراهيم عليه السلام راجعا حتى إذا غابت الأم ووليدها عن ناظريه استقبل البيت ورفع يديه مناجيا ربه ومتضرعا إليه وقائلا رب إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا إنك تعلم ما نخلي وما نعلم وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في

السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء ربي اجعني مطيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ما أجمل الدعاء ما أجمل الدعاء لأنه الافتقار والمسكنة إلى الله إنه طلب تفريج الغموم وكشف الغموم وقضاء الحاجات الدعاء حقيقة العبودية لله بطلب جلب النفع ودفع المضرة ومن يملك هذا إلا الله يا رب حمدا ليس غيرك يحمد يا من له كل الخلائق تصمدوا أبواب غيرك ربنا قد أوصدت ووجدت بابك واسعا لا يصدوا دعاء إبراهيم عليه السلام فاستجاب الله له هذا الدعاء فماذا حدث بعد ذهاب إبراهيم عليه السلام اسمعوا اسمعي رأتم الله كان قد ترك مع الأم والولد جرابا فيه تمر واسقاء فيه ماء فجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفِد ماء استقاء عطشت وعطش إبنها وجعلت تنظر إليه يتلظى بين يديها وهي لا تستطيع أن تفعل له شيئا فانطلقت كراهية أن تنظر إليه وهو على تلك الحال فوجدت الصفاء أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى من أحد فلا ترى أحدا فهبطت من الصفاء حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعي الإنسان المجهد حتى جاوزت الوادي ثم أتت المرة فقامت عليه فنظرت هل ترى من أحد فلا ترى أحدا فعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المرة سمعت صوتا فقالت صح أي اسكتي تخاطب نفسها ثم سمعت أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فانطلقت إليه فجعلت تحوظه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف منه قال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فأنتم في بيت الله فإنها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله خرج الماء ودبت الحياة فلقد قال الله وجعلنا من الماء كل شيء حي مرت رفقة من جرهم فوجدوا الماء وأقاموا هناك وكبر وترعرع إسماعيل وكان إبراهيم يتعاهد زوجه وولده بالزيارة من حين إلى حين حتى جاءه الأمر ببناء البيت فجاء مكة وأخبر ابنه بالأمر فقال اصنع ما أمرك ربك وأنا أعينك على ذلك فأشار إبراهيم إلى مكان الكعبة وقال إن الله أمرني أن أبني هاهم وبدأ إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام بالبناء فجعل إسماعيل يأتي بالفجارة وإبراهيم يبني وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أن تستمع العليم كان وهايب بن الورد إذا قرأ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت ربنا تقبل منا إنك أن تستمع العليم يبكي ويقول يا خليل الرحمن يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن وأنت مشفق ألا يتقبل منك تعمل أفضل عمل وتخاف ألا يتقبل منك قلت إنه الإخلاص وما أدرك من الإخلاص ما أجمله من منظر وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل مشهد حاضر لا رأي خيال فلما تم البنيان أمر الله الخليل بالأذان عن ابن عباس قال لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج قال يا ربي وما يبلغ صوتي قال أذنهم وعليك البلاء فنادى إبراهيم يا أيها الناس كتب عليكم الحج فإن ربكم قد اتخذ بيتا وأمركم أن تحجوه قال فسمعهما بين السماء والأرض أفلا ترون الناس يجئون من أقصى الأرض يلبون لبيك اللهم لبيك أذن إبراهيم واستجاب الموحدون لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك إنه لداء التوحيد الخالص الذي من أجله بني البيت تأمل معي وتأمل معي معاني التوحيد في هذه العبارات الخالدة لبيك اللهم لبيك أي أنا مجيب لك مقيم على طاعتك لبيك يا الله ولبيك ثانية تكرار وتأكيد أني مجيب لك مقيم على طاعتك لا إله إلا أنت لبيك لا شريك لك لبيك أي لا شريك لك في كل شيء وليس في التلبية فقط لا شريك لك في ملكك لا شريك لك في ألوفيتك لا شريك لك في ربوبيتك لا شريك لك في أسمائك وصفاتك لا شريك لك في كل ما تختص به فأنا مخلص لك ما حججت رياء ولا سلع ولا لمال ولا لغير ذلك إنما حججت ولبيت لك فقط لا إله إلا أنت إن الحمد والنعمة لك والملك والحمد مبني على المحبة والتعظيم فالحمد وصف المحمود بالكمال محبة وتعظيما ولا أحد يستحق هذا على وجه الكمال إلا الله فلا إله إلا الله فجميع المحمد لك محمد على جلب النعم ومحمد على دفع النقام فلك الفضل فأنت صاحب الفضل وأنت المستحق للفضل ثم تأكيد وتأكيد بأن الملك لك والحمد لك والنعمة لك لا شريك لك إنه نداء التوحيد بكل معانيه وإن الأمر كما قال جابر في حديث حجة النبي صلى الله عليه وسلم فلما استوى على ناقته أهل بالتوحيد ثم اسمع واسمعي وتأمل وتأملي معاني التوحيد في كل مناسك الحج ومواقفه إنه التوحيد يوم يبدأ الحاج يطير الطوافَ قائلا وهو يشير إلى البيت بسم الله الله أكبر اللهم إيمانا بك وتصريقا بكتابك ووفاءا بعهدك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم إنه التوحيد يوم يقف الحاج خلف المقام بعد الطواف ليصلي ركعتين يقرأ في الركعت الأولى يقول يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون يعلن الموحد رفضه لأي عبودية سوى الله ثم يجدد الولاء في الركعة الثانية يقول هو الله أحد التي تتضمن التوحيد الخالص لله عز وجل إنه التوحيد يوم أن يرقى الصفا قائلا إن الصفا والمروف من شعائر الله ثم يردد في دعائه الحمد لله وحده أنجز وعده وصدق عبده وهزم الأحزاب وحده إنه التوحيد يوم يردد الحاج في يوم عرفه خير الدعاء كما قال صلى الله عليه وسلم خير ما جئت به أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله وحته لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إنه التوحيد يوم يرقع التكبير الله أكبر الله أكبر في صباح يوم النحر ورمي الجمرات إعلانا الانتصار للتوحيد من النفس والهوى والشيطان والاستجابة لأوامر الله معاني يعجز الإسان والقمع عن تصديرها إنه التوحيد الذي هو حق الله على الأبيض بكل معانيه في كل موقف في كل مشعر فما أجله وأروعه من منظر ذلك الاجتماع في تلك الديار والأروع منه قلوب المسلمين معهم في كل مكان تعلن المحدث والترابط رغم كانت الظروف والأحوال والكل يردد لبيك حقاً وصدقاً تعبداً ورقاً فمن أجل التوحيد وعلى قواعده رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد أضحى الإسلام لنا ديناً وجميع الكون لنا وطنا توحيد الله لنا نور أعددنا الروح له سكنا الكون يزول ولا تمحى في الدهر صحائف سؤددنا بنيت في الأرض مساجدنا والبيت الأول كعبتنا هو أول بيت نحفظه بحياة الروح ويحفظنا علم الإسلام على الأيام شعار المجد مئتنا قولوا لسماء الكون لقد طاولنا النجم برفعتنا وأذان المسلم كان له في الغرب صدى من همتنا يا أرض النور من الحرمين ويا ميلاد شريعتنا روض الإسلام ودوحته في أرض رواها دمنا ومحمد كان أمير الرك يقود الفوز لنصرتنا إن اسم محمد الهادي روح الآمال لنقضتنا من هناك انطلق محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التوحيد ويضحي هو وأصحابه من أجل التوحيد ومن هناك ومن تلك المشاعر والبقاع ودع محمد صلى الله عليه وسلم أمته وهو يردد معهم لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك كانت حجة الوداع أول حجة الحجة النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وآخر حجة في حياته ولذا سميت بحجة الوداع وادعى فيها المسلمين وهو يقول لكم خذوا عني مناسككم فهو سيد المرسلين ومعلم التوحيد الذي ورثه من الأنبياء قبله ثم بين له من حقيقة التي لا بد منها وهي أن مصير كل إنسان كائن كان هو الموت فيقول لتلك الجموع التي الثفت من حوله لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا لعلي لا أحج معكم بعد عامي هذا ثم يتنزل عليه في عشية عرفة قوله تبارك وتعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمة ورضيت لكم الإسلام دينا فذكى عمر رضي الله عنه عند نزولها فقيل ما الذي يبكيك قال وهل فعدت تمام إلا النقصان ثم في أواصف أيام

التشريق تنزل عليه قوله تبارك وتعالى إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفر إنه كان توابا فعلم العارفون من الصحابة أن منيته صلى الله عليه وسلم قد قربت وأن نفسه قد نعيت إليه وأنه يودع أمته أطلق للأمة في تلك الأيام وصايا وثوابت ومسلمات ليتنا تدرسناها من حين إلى حين من تلك العبارات والكلمات قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أكتاكم وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقاء ألا هل بلغت؟ اللهم فشف فأين الأمة اليوم؟ من هذا الدرس العظيم وقد تفرقت واختلفت بين قومية ووطنية قتلتها العصبية القبلية والعادات الجاهلية إن التفاخر بالأنثاب والألوان والأجناس باطل لأن الكل لآدم وآدم من تراب ألا تراهم في الحج بلباس واحد وبنداء واحد أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل الإمرئن ما لأخيه إلا عن طيب نفسه فلا ترجعوا بعده كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني فاتركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده أبداً كتاب الله وسنتي ألا هل بلغت؟ اللهم فشف يا أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً إنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت؟ اللهم فشف فأين دعاة التحرر والمطالبون بحقوق المرأة عن هذه الكلمات والعبارات أين أنتي حتى تعرفي قدرك وقيمتك في هذا الدين فأنت عزيزة مكرمة ودع نبي الأمة الأمة في تلك المواقف والمشاعر بعد أن وصل حاضر بتبلغ الغائب أتم الله به الدين وأقام به الملة فركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هذا نسينا في ودادكم كل غالي فأنتم اليوم أغلى ما لدينا تسل الناس في الدنيا وإن لعمر الله بعدكم ما سليم ولما نلقاكم ولكن شوقا يذكرنا فكيف إذا اجتقينا سأسوقوا إليكم بعضا من الأحاديث التي شوقنا بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج إلى بيت الله الحرام فقال تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له وقال صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفض ولم يفسد رجع كيوم ولدته أمه ولما سألت عائشة قائلة نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لها لكن أفضل الجهاد حج مبرور وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ضمان الله عز وجل أي في حفظه ورعايته رجل خرج إلى مسجد من مساجد الله فأبشروا يا عمر المساجد ورجل خرج غازيا في سبيل الله فأبشروا أيها المجاهدون ورجل خرج حجا فأبشروا يا حجاج بيت الله فلما سمع الصادقون هذه الأخبار والآثار انطلقوا ملبين مجيبين لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وإليك بعضا من أخبار الملبين والمشتاقين قال الجريري أخرم أنس بن مالك من ذات عرق فما سمعناه متكلما إلا بذكر الله عز وجل فقال يا ابن أخي هذا هو الإحرام هذا هو الإحرام فكيف لو رأى اشتغال الحجيج اليوم بالقيل والقال وكثرة السؤال بل تدخين وغناء في أحب البقاع إلى الله حج مسروق فما نام إلا ساجدا لله ذرهم عرفوا قيمة الزمان وحرمة المكان ووقف مطرف بن الشيخ فيط وبكر بن عبد الله المزنين في عرفة فقال أحدهما ما أحلى هذا الجمع لو لا أني فيهم اصطدم رجل بسالم بن عبد الله بن عمر فقال له الرجل ما أراك إلا رجل سوء فقال سالم والله ما عرفني إلا أنت فأين الذين يذكون أنفسهم أما الأزاعي الذي كان بعلم الله واعي فقد قال عنه ظمورة بن ربيع حججنا مع الأزاعي سنة خمسين ومئة فما رأيتهم مضطجعا في المحمل في ليل ولا نهار كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى الجدار وروا سليمان بن أيوب سمعت شفيان بن عيينة يقول شهدت ثمانين موقفا في عرفة وكان في كل موقف يقول اللهم لا تجعل هذا آخر العهد منك وببيتك اللهم لا تجعل هذا آخر العهد منك وببيتك فوقف مرة ولم يقل ذلك فقيل له لما لم تقل قال استحيث من ربي فمات من سنة كرر علي أحديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادق قال مالك أحرم علي بن الحسين فلما أراد أن يلبي قال هفأغني علي وسقط من ناقته وهشم رأسه للأهبرهم كم امتلأت قلوبهم خشية ورهبة من ربهم لسان حالهم إليك إلهي قد أتيت ملبية فبارك إلهي حجتي ودعائي تصدتك مفضرا وجئتك باكية وحاشاك ربي أن ترد بكائيا كفاني فخرا أنني لك عابد فيا فرحي انصرت عبد موالية أتيت بلا زاد وجودك مطعمي وما خاب من يقول جودك ساعية إليك إلهي قد حضرت مؤملا خلاصة فؤادي من ذنوب ملبية وإليك مزيد من الأخبار تقول الأخبار عن الحافظ البرزالي صاحب التاريخ والمعجم الكبير أنه إذا قرأ الحديث ومر به حديث ابن عباس في قصة الرجل الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقصته ناقته وهو مغنم فمات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تغطوا رأسه وكفنوه بإحرامه فإنه يبعث يوم القيامة ملبي فكان إذا قرأ الحديث يبكي بكاء شديدا ويرق قلبه فمات محرما في مكة فمات محرما في مكة رحمه الله روح دعاها للنصال حبيبها فسعت إليه تطيعه فسعت إليه تطيعه وتجيبه يا مدعي صدق المحبة هكذا فعل الحبيب إذا دعاه حبيبه أقول قول لمن لم يكن صادقا لا يتعنى ولا يتعب نفسه قول لمن لم يكن صادقا لا يتعنى ولا يتعب نفسه ألف ابن القيم رحمه الله كتابه من ساحة دار السعادة في مكة يقول في مقدمة الكتاب وكان هذا من بعض النزول والتحفي التي فتح الله بها علي حين انقطاع إليه عند بيته وإلقاء نفسه ببابه مسكيناً ذليلاً وتعبض لنطحاته في بيته وحوله بكرةً وأصيلاً فما خاب من أنزل به حوائجه وعلق به آمانه وأصبح ببابه مقيماً وبخماه نزيل إليك وإلا لا تشج الركائب ومنك وإلا فالمؤمن خائب وفيك وإلا فالغرام مضيع وعنك وإلا فالمحدث كاذب أما أخباره في عرقات وما أدرك ما عرقات فقد جاء في الحديث إذا كان عشية يوم عرفة ينزل ربنا إلى سماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله فيباهي بأهل الموقف ملائكة السماء يقول يا ملائكتي انظروا عبادي جاءوا شعثاً غبراً من كل فج عمي ماذا يريدون فتقول الملائكة أنت أعلم بما جاءوا إلي جاءوا يرجون رحمتك جاءوا يرجون رحمتك ويخفون عذابك فيقول تعالى أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم أفيض مغفوراً لكم ولمن شفعتم فيه فيا الله ما أجله وأعظمه من موقف عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة وإنه ليدن منهم ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماذا أرده هؤلاء عن بلال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له غدا فجمع يعني يوم عرفة يا بلال أسكت الناس أو أنصت الناس ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم للناس إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا فوهب مثيئكم لمحتنكم وأعطى محتنكم ما سأل ادفعوا باسم الله مقبوراً لكم فسبحان الله فسبحان الله كم ترفع في ذلك اليوم من الدعوات وكم ترفع فيه من الطلبات وكم تغفر فيه من الذنوب والزلات وكم تسكب فيه من الدموع والعبرات فلا تختلط عليه سبحانه الطلبات واللحجات فلله ذلك الموقف الأعظم الذي كموقف يوم العرض بل باك أعظم ويدنو به الجبار جل جلاله يباهي بهم أملاكه فهو أكرم يقول عبادي قد أتوني محبةً وإني بهم بر أجود وأرحم فأشهدكم أني غفرت ذنوبهم وأعطيتهم ما أمله وأنعم فبشطاكم يا أهل الموقف الذي به يغفر الله الذنوب ويرحم فكم من عتيق فيه كمل عتقه وآخر يستسعى وربك أرحمه كان حزام بن حكيم رضي الله عنه يقف بعرفه ومعه مئة بدنه مقلدة ومعه مئة رقبه فيعتق رقيقه وعبيده فيضج الناس بالبكاء فيضج الناس بالبكاء فيضج الناس بالبكاء والدعاء يقولهم ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيدهم ونحن عبيدك فأعتقنا من النار إن الملوك إذا شابت عبيدهم في ربهم عتقوهم عتق أبراري وأنت يا ربي أولى بذا كرما فقد شبنا في الرق فأعتقنا من النار قال ابن المبارك جئت إلى سفيان عشية عرفة وهو جاس على ركبتيه وعينه تهملا فقلت له من أسوأ هذا الجم قال الذي يظن أن الله لا يغفر لهم قلت من أسوأ هذا الجم قال الذي يظن أن الله لا يغفر لهم

ما أعظم حسن ظنهم بربهم وهو أرحم الراحمين وقف أحد الخائفين بعرفة فمنعه الحياء من الدعاء فقيل له لما لا تدعو فسكت فقيل له هذا يوم العفو عن الذنوب فبسط يديه ووقع ميتا وكان أبو عبيدك الخواص إذا غلب عليه الشوق والغلق في ذلك الموقف قال وأشوقاه إلى من يراني ولا أراه فهنيئا لمن رزقه الله لقوف بعرفة بجوار قوم يجأرون إلى الله بقلوب محترقة وذموع مستبقة فكان فيهم من خائف أزعجه الخوف وأغلق وكان فيهم من محب ألبه الشوق وأحرق وكان فيهم من فائب نصح لله في التوبة وصدقه وكان فيهم من هارب لجأ إلى باب الأهل وطرقه وكان فيهم من مستوجب للنار أنقذه الله فأعتقه وكان فيهم من أسير للأوزار فكه الله وأطرقه وكان فيهم من راجل أحسن الظن بالله فوفقه سبحان من لو سجدنا بالعيون له على حمى الشوك والمحي من الأبري لم نبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشر من العشرين هو الرفيع فلا الأرصار تدركه سبحانه من مليك النافذ القدر سبحان من هو أنسي إذا خلوت به في جوف ليدي وفي الظلماء واستحري أنت الحبيب وأنت الحب يا أملي مالذي سواك ومن أرجوه يا ذخري هذه بعض أخبار الملبئين والمشتاقين الأولين أما من أخبار المتأخرين فإليكم من أجمل وأروع هذا ما قرأت قصة يرويها شيخ كبير قد تجاوزت ثمانين من عمره اسمه الحاج عثمان وكلمة الحاج تطلق على من حج بيت الله الحرام زاره أحد استحابي ليسمع ويروي عنه قصة حجه التي حجها قبل خمسين سنة إنه من جمهورية جامبيا في أقصى الغرب الأفريقي يسكن في منزل متواضع في قرية صغيرة حول العاصمة بنغول ولعله قد مات الآن خرج ماشيا مع أربعة من صحده يريدون مكة قاطعين قارة أفريقيا من غربها إلى شرقها على أقدامهم حتى إذا وصلوا إلى البحر الأحمر ركبوا السفينة إلى جدة استمرت الرحلة أكثر من سنتين ينزلون خلالها في بعض المدن للتكسب والراحة والتزود من النفطة ثم يواصلون المسير قيل له أليس الحج فرض على المستطيع وأنتم حينها غير مستطيعين قال نعم ولكننا تذكرنا ذات يوم قصة إبراهيم الخليل عليه السلام عندما ذهب بأهله إلى واد غير ذزرة وهو شيخ كبير فقال أحدنا نحن الآن شباب قبل خمسين سنة نحن الآن شباب أصحاء أقوياء فما عذرنا عند الله ما عذرنا عند الله تعالى إننا قصرنا في المسير إلى بيته الحرام خاصة أن الأيام لن تزيدنا إلا ضعفا فلماذا التأخير قال فهيجنا وشوقنا واستحسنا على المسير فاستعنى بالله على ذلك خرج الشباب الخمسة من دورهم وليس معهم إلا قوت لا يكفيهم حتى لأيام خرجوا والدافع من فروجهم إجابة الأذان الذي أطلقه إبراهيم عبر السنين أصابهم في طريقهم من المشقة والضيق والكرب والله به عليم فكم الليلة باتوا فيها على الجوع حتى كادوا يهلكون وكم الليلة طاردتهم استباع في الغابات وفارقهم لذيذ المنام وكم الليلة أحاط بهم الخوف من كل مكان فقطاع الطرق يعترضون المسافرين في كل واد وفي كل مكان رب ليل بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه يقول الحاج عثمان توقفنا للمبيت ليلة قريبا من إحدى الغابات فلدغتني حية وبدأ سمها يسري في جسمي وأصابتني حمى شديدة وألم عظيم وشمنت رائحة الموت تسري في عروقي فكان أصحابي يذهبون للعمل وكنت أمكث تحت ظل الشجرة إلى أن يأتوا آخر النهار وكان الشيطان يوسوس لي أما كان الأولى أن تبقى في أرضك بدل أن تكلف نفسك ما لا تطيق ألم يفرض الله الحج على المستطيع فقط قال فأثرت هذه الوساوس في نفسي وبدأت أثقل وأضعف وكنت أرجع إلى أرضي وداري فلما جاء أصحابي نظر أحدهم إلى وجهي وسألني عن حالي فالتفت عنه ومسحت دمعة غلبتني فكأنه أحس بما فيني فقال قم فتوضأ قم فتوضأ وصلي ولن تجد إلا خيرا بإذن الله أما قال الله واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظلون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون قال فقمت فتوضأت وصليت فانشرح صدري وأذهب الله عنه ينحزم يقول كان الشوق للوصول إلى بيت الله الحرام قد ملأ قلوبنا وخفف عننا ألام السفر ومشاق الطريق ومخاطره مات ثلاثة منا في الطريق كان آخرهم لما ركبنا السفينة إلى جدة قال لنا في وصيته قال لنا في وصيته إذا وصلتما إلى المسجد الحرام فأخبر الله تعالى أني مشتاق للقر إذا وصلتما الى بيت الله الحرام فاخبر الله انني في شوق للقائه. واسأله ان يجمعني ووالدتي في الجنة مع النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الحاج ابراهيم لما مات صاحبنا الثالث نزلني هم شديد وغم عظيم.

وكان ذلك اشد ما لقيت في رحلتي فقد كان اكثرنا صبرا وقوة. خشيت ان اموت قبل ان انعم بالوصول الى المسجد الحرام. فكنت احسب الايام والساعات على احر من الجمع.

اذا برقت نحو الحجاز سحابة دع الشوق مني برقها المتطامن. فلما وصلنا الى جدة مردت مرضا شديدا. وخشيت ان اموت قبل ان اصل الى بيت الله الحرام.

فاوصيت صاحبي انني اذا مت ان يكفنني في احرامي. ويقربني قدر المستطاع الى مكة. على الله ان يضاعف لي الاجر ويتقبلني في الصالحين.

فيوشك ان يحول الموت بيني وبين جوار بيتك والطواف. فكم من سائل لك ربي رغبا ورهبا بين منتعل وحاف. اتاك الراغبون اليك شعثا يسوقون المقلة والصواف.

مكثنا في جدة ايام. حتى خف عني المرض. ثم وصلنا المسيرة على الاقدام.

كانت انفاسي تتسارع. والفرح يملأ وجهي. والشوق يهزني.

ويشدني. الى ان وصلنا الى المسجد الحرام. فسكت الحاج.

وهو يروي القصة. سكت الحاج عثمان. واخذ يكفكف عباراته وهو يتذكر تلك الذكريات.

ثم وصل الحديث قائلا اقسم بالله العظيم. اقسم بالله العظيم. اني لم ارى.

واشعر بلذة في حياتي كتلك التي ملأت قلبي. لما رأيت الكعبة المشرفة. يقول فلما رأيت الكعبة سجدت لله شكرا.

واخذت ابكي من شدة الرهبة والهيبة كما يبكي الاطفال. فما اشرفه من بيت واعظمه من مكان. ثم تذكرت اصحابي.

تذكرت اصحابي الذين ماتوا في الطريق ولم يصلوا. فاخذت ادعوا لهم. وحمدت الله ان بلغني الوصول.

وسألت الله ان لا يحلمني ولا يحلمهم الاجراء. وان يجمعنا بهم في مقعد الصدق عند ملك مقتدر. يقول فمكثنا في مكة الى موسم الحج.

فحججنا ثم رجعنا الى بلادنا. بعد ان استمرت رحلتنا اكثر من سنتين. وها انا الان يقول وها انا الان اقصوا لكم خبر تلك الرحلة التي مضى عليها اكثر من خمسين سنة.

الله اكبر. سمعوا منادي الله واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وسمعوا منادي الله يناديهم وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض. اعدت للمتقين فخرجوا مسرعين وهم يرددون لبيك اللهم لبيك.

لبيك لا شريك لك لبيك. ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. ناداه باناد الله.

قائلا يا غافلا عني انا الداعي يا متخلفا عن زيارتي. انا القطائف واستاعي. يا مشغولا عن قصدي.

لو عرفت اطلاعي. انا اقمت خليلي. يدعو الى سبيلي.

واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا. اما والذي حج المحبون بيته. ولبوا له عند المحل وأحرموا.

وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعا. لعزة من تعنوا الوجوب وتسلموا. يهلون بالبيتاء.

لبيك ربنا. لك الملك والحمد الذي انت تعلم. دعاهم فلبوه رضا ومحبة.

فلما دعوه كانوا اقرب منهم. تراهم على الامضاء شعفا رؤوسهم وغبرا وهم فيها اسروا وامعموا. وقد فارقوا الاوطان والاهل رغبة ولم يثنهم لذاتهم واتنعموا.

يسيرون من اقطارها وفجاجها رجالا ورقبانا ولله اسلموا. نقرأ ونسمع نقرأ ونسمع عن اولئك الذين بذلوا كل غال ونفيس للوصول الى بيت الله الحرام. ثم نرى من حال كثير من المسلمين اليوم.

ممن تحققت فيهم الشروط الشرعية الموجبة لحج بيت الله الحرام ومع ذلك يسوفون ويتباقؤون. الا فليتذكر اولئك قول النبي صلى الله عليه وسلم من اراد الحج فليتعجل فانه قد يمرض المريض وتظل الضالة وتعرض الحاجة. اتدري من المحروم؟ اسمع واسمع بارك الله فيكم.

عن ابي سعيد يرفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول ان عبدا صححت له جسمه واوسعت عليه في المعيشة يمضي عليه خمسة اعوام لا يفد الي لمحروم تأمل في قوله لا يفد الي ولم يقل الى بيته فالحج هو الرحمة الى الله فكيف لا يكون محروما من لا يرحل الى الله لبيك ان الحمد لك كل نبي وملك وكل عبد فألك لبيك ان الحمد والملك لا شريك فيه لك وكل من اهل لك سبح او لباف لك والملك لا شريك فيه لك اللهم ها هم ضيوفك بين يديك وفدوا اليك شعثا غبرا وقفوا وقوفا راجين ونفروا نقور المؤمنين وباتوا مبيت الخاشعين وضحوا تضحية الشاكرين ورموا رمي المعاهدين وتحللوا تحلل المبتهجين وطافوا طواف المودعين فتقبل منهم فتقبل منهم ربنا فانت وحدك الغفور الضرر الرحيم اللهم اجعل حجنا وحجهم مغرورة وسعينا وسعيهم مشتورة وذنبهما ذنبنا مغفورة اللهم من اراد او ارادت الحج فيسل لهم السبل يا رب العالمين ومن حرم ذلك فاكتب له الاجر يا بر يا رحيم اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا ولاة أمورنا اجعل ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين اللهم لا تحرمنا خير ما عندك بأسوء ما عندنا يا بر يا رحيم اللهم حبب لنا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره لنا الكفر واجعلنا يا ربنا من الراشدين اللهم اجعل بلدنا هذا آمنا مطمئنا سفاء رخاء وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين اللهم انصر المجاهدين في سبيلك الذين يقاتلون من اجل اعلاء كلمات دينك انصر من نصرهم واخذل من خذلهم صنع راضهم واحكم دماؤهم وفك أسران وأسراهم وثبت حجتهم يا رب العالمين اللهم اكبت عدوك وعدوهم انهم لا يعجزونك يا قوي يا عزيز ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين استغفر الله العظيم والصلاة على محمد وعلى آله وصحبه